

العصر العباسي الرابع  
عصر النفوذ السلجوقي التركي  
447 - 656 هـ / 1055 - 1258 م

نهاية دولة الخلافة العباسية  
الخلافة العباسية والأترك السلاجقة

قيام الدولة السلجوقية

بقيام السلاجقة الترك، بزغ عصر جديد هام في تاريخ الخلافة والإسلام . ولما ظهروا من الشرق في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي كان الخليفة لا يتمتع بشيء من سلطة الخلافة الحقيقية و كانت دولة الخلافة العباسية قد تمزقت إرباً إرباً.

فالأمويون قد استتب أمرهم في الأندلس، وكذلك العبيديون في مصر وشمال إفريقيا، ولم يعد لبغداد من سبيل إلا القضاء على شوكة هؤلاء جميعاً .

أما شمالي سورية والجزيرة الفراتية فقد رأينا كيف آل أمرهما إلى أيدي زعماء من النافرين العرب نجح بعضهم في تأسيس دولة قوية . ثم إن فارس وما وراء النهر قد تقاسمها بنو بويه أو امتلكها حكام مختلفون يتربقب كل منهم الفرصة للفتك بمنافسه ، حتى عمت الفوضى السياسية والعسكرية جميع الأنحاء. وتفاقم الخطب المذهبي بين السنة والشيعية بحيث يل للناظر أن دولة الإسلام في طور النزاع الأخير.

تلك كانت حال الخلافة الإسلامية حين ظهرت على مسرحها السياسي، وعلى أنقاض أسلافهم البويهيين «الإمارة السلجوقية».

ينحدر السلاجقة من قبيلة قنق الغزية التركية، وينتسبون إلى جد هو سلجوق بن دقاق وكانت منازلهم في الصحراء الواسعة والسهوب الممتدة من الصين حتى شواطئ بحر الخزر اعتنقوا المذهب السني ونصروه بغيرة وحماسة . وفي (375هـ / 985م ) نزحوا من موطنهم الأصلي إلى بلاد ما وراء النهر وخراسان بسبب الظروف الاقتصادية السيئة في هذه المناطق الصحراوية أو بسبب الحروب التي تدور بين القبائل المختلفة عادة، فاصطدموا بالغزنويين الذين كانوا يسيطرون المنطقة، وطردهم منها بعد سلسلة من الاصطدامات .

وأسس السلطان السلجوقي طغرلبيك دولة في خراسان في عام (431هـ / 1040م) على أثر انتصاره على السلطان مسعود الغزنوي في معركة داندانقان واعترف الخليفة العباسي القائم به سلطاناً في العام التالي .

واصل السلاجقة سياستهم التوسعية في فارس ضمن دائرة اعتراف الخلافة العباسية، بهدف القضاء على قوة البويهيين، تمهيداً لمد نفوذهم إلى العراق. فاستولى على الري في عام (432 هـ / 1041 م) ودخلوا في العام التالي جرجان و طبرستان واستولى السلطان طغرلبيك في عام (442 هـ / 1050 م) على أصفهان و اتخذها عاصمة له، ثم ضم بعد أربع سنوات إقليم أذربيجان.

وهكذا قامت دولة السلاجقة العظام في خراسان وفارس، وأضحت جيوشهم على أهبة الاستعداد لدخول العراق.

### الوضع الداخلي في بغداد عشية زحف السلاجقة باتجاه الغرب

كان الوضع الداخلي في بغداد، آنذاك مزعزجاً، تشوبه حالة من الفوضى وعدم الاستقرار مما ساعد على تعبيد الطريق أمام مهمة دخول السلاجقة إليها، وضم العراق إلى دولتهم التي أسسوها في خراسان وإيران، وذلك بفعل الخلافات الأسرية داخل البيت البويهي اذ قامت النزاعات والتنافس بين الأمراء البويهيين من جهة وبينهم بين الجند من جهة أخرى، كما انتشرت الفتن بين الجند .

ففي عام (424 هـ / 1033م) ظهر التنافس وأفصحاً بين جلال الدولة البويهي وبين ابن أخيه أبي كالجار، وخطب لهذا الأخير في بغداد . وغدت المدينة مسرحاً للشغب والمنازعات المذهبية والأسرية .

ولما توفي جلال الدولة في عام (435 هـ / 1044م)، لم يتمكن ابنه الملك العزيز من الاحتفاظ بالحكم طويلاً، مما دفع أبو كالجار إلى تثبيت أقدامه في الحكم، واستقر في بغداد في عام (436 هـ / 1045 م) .

نتيجة لهذا التنافس الأسري، وبفعل ثورات الجند المستمرة، فقد الأمن في بغداد. وقد شعر الخليفة العباسي بهذا التفكك والانحلال، ورأى أن الدولة البويهية عاجزة عن إقرار الأمور في العراق .

## دخول السلاجقة بغداد

حين شارف السلاجقة العظام على العراق، كان أبو الحارث أرسلان البساسيري، أحد قادة بني بويه الأتراك المتشيعين، يسيطر على بغداد وما جاورها، ويتمتع بنفوذ كبير لدرجة أنه أضحى يخطب له على المنابر في العراق والأهواز .

ولم يعد بإمكان أي من الخليفة العباسي أو الملك البويهي، إتخاذ أي قرار يتعلق بأمر الدولة إلا بعد موافقته . وقد شكل هذا القائد خطراً حقيقياً على الخلافة العباسية والدولة البويهية .

أما خطره على الخلافة العباسية، فقد تجلّى في عام (446 هـ/ 1054 م)، حين نشب الخلاف بينه وبين الخليفة ، القائم، مما دفعه للاتجاه نحو الفاطميين، واستعان بهم .

وأما خطره على الدولة البويهية، فقد تجلّى في الخلاف الذي نشأ بينه وبين الملك الرحيم البويهي ، مما هدّد النفوذ البويهي في العراق بعد ضياع أملاك البويهيين في إيران على يد السلاجقة .

في هذا الجو المضطرب ، أخذ كل طرف يسعى لمصلحته. أما الخليفة الذي فقد ثقته بمن حوله، رأى أن مصلحته تقضى عليه الاتصال بالقوة الغالبة ، خاصة وأنها كانت تدين بالمذهب السني، وتحترم الخلافة، وتدين لها بالولاء. فاستنجد بالسلطان السلجوقي طغرلبيك طالباً مساعدته ضد البساسيري .

انتهز السلطان هذه الفرصة ، وسار بجيوشه إلى بغداد، ودخلها في عام (447 هـ/ 1055م). واعترف الخليفة به سلطاناً على جميع المناطق التي تحت يده ، و أمر بأن يُذكر اسمه في الخطبة .

وهكذا دخل العراق ضمن دائرة نفوذ السلاجقة العظام .